اسم المصدر: الجزيرة

التاريـــخ: 03-06-2009 رقم العـدد: 0 رقم الصفحة: 25 مسلسـل: 155 رقم القصاصة: 1

ملف صحفي

ملامح فلسفة أوبامية جديدة لحل معضلة الشرق الأوسط

اللقاء الأول الذي جمع الملك مع أوباما في قمة العشرين

اعداد:جاسر الجاسر-نايف النويصر

ايّ (مبادرة كبرى) ينوي الرئيس الامريكي باراك اوباما طرحها لمحاولة إيجاد حل نهائي وشامل لأزمة الصراع العربي – الإسرائيلي؟

المسؤولون الامريكيون يؤكدون ان اوباما سيوضح طبيعة هذه الخطة في مباحثاته مع قادة الدول العربية عندما يلتقيهم كما سيكشف عنها في الخطاب الذي يلقيه في القاهرة في 4 حزيران المقبل، على الرغم من ان هذا الخطاب سيكون مكرساً اساساً لتحسين علاقات الولايات المتحدة مع العالم الإسلامي.

بيد انه بات في الوسع تلمّس الخطوط العامة لهذه (المبادرة الكبرى) من خلال البيانات التي ادلى بها بعض المسؤولين العرب والغربيين الذين إما التقوا الرئيس الامريكي، كالعاهل الأردني عبد الله الثاني، او اجتمعوا مع مسؤولين امريكيين آخرين، كوزير الخارجية البريطاني ديفيد ميليباند او من خلال الدراسات التي اعدها باحثون مقرّبون من اوباما وفريق عمله، على غرار ووالتر رسل مید الذي نشر في مجلة (فورين افيرز) (شباط – فبراير – آذار – مارس 2009) بحثاً يمكن اعتباره (القاعدة الفلسفية) لهذه المبادرة.

ثورة كوبرنيقية

فالملك عبد الله الثاني قال بعد لقائه اوباما إن المبادرة تتضمن (حل الـ57 دولة)، الذي يقوم بموجبه العالم الإسلامي برمته بالاعتراف بإسرائيل، مقابل موافقتها على إقامة دولة فلسطينية والانسحاب من باقي الاراضي السورية واللبنانية المحتلة.

اسم المصدر: الجزيرة

التاريخ: 03-06-2009 رقم العدد: 0 رقم الصفحة: 25 مسلسل: 155 رقم القصاصة: 2

قال الملك: نحن نعرض ان يجتمع ثلث العالم معهم (الإسرائيليين) بصدور مفتوحة. فالمستقبل لم يعد نهر الأردن او مرتفعات الجولان او سيناء، بل اصبح المغرب على ضفاف المحيط الاطلسي وإندونيسيا على ضفاف المحيط الهادي. هذه هي الجائزة.

وتعتقد دوائر بريطانية ان (حل الـ57 دولة) هو اختراع مشترك طوّره الملك واوباما في شهر نيسان- إبريل الماضي في واشنطن، وان تفاصيله سنناقش خلال موجة التحركات الدبلوماسية العاتية التي من المقرر ان تشهدها واشنطن، حيث التقى اوباما رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو في 18 مايو الماضي، والرئيس المصري مبارك في 26 منه والرئيس الفلسطيني عباس في 28 منه، ثم يتم تتويج كل هذه النشاطات في 4 يونيو حين يلقي الرئيس الامريكي خطابه الموعود الذي سيوجهه إلى العالم الإسلامي من القاهرة.

اما ميليباند فيعتقد ان جهود اوباما لإعادة إطلاق عجلة السلام في الشرق الأوسط هو (تطور لا يحدث سوى كل جيل مرة)، وان هذه ايضاً هي المرة الاولى منذ عهد جيمي كارتر التي تلزم فيها إدارة امريكية نفسها بتحقيق السلام في المنطقة (منذ اليوم الاول لاستلامها السلطة). كما ان ميليباند اشاد بفريق اوباما لاعترافه بالحاجة إلى (أطار إقليمي) للتسوية، بحيث لا يوفر هذا الحل لإسرائيل العيش بسلام جنباً إلى جنب مع دولة فلسطينية، بل ايضاً مع 21 دولة عربية والآن، ومع خطة (عبدالله – اوباما) مع 57 دولة إسلامية.

هذا عن التوجه العام للمبادرة، لكن ماذا عن فلسفتها الخاصة؟ إنها تكمن فيما وصفه وولتر رسل ميد (الثورة الكوبرنيقية) نسبة إلى كوبرنيقوس الذي اكتشف ان الارض تدور حول الشمس لا العكس التي ينوي الرئيس الامريكي إدخالها على المقاربات الخاصة بمفاوضات الشرق الاوسط: بدل ان تكون إسرائيل والإسرائيليون هم محور هذه المقاربات، تكون فلسطين والفلسطينيون هم هذا المحور.

الباحث الامريكي وولتر رسل ميد (مقرب من اوباما)

المحاور الرئيسة لدراسة رسل ميد

إدارة اوباما ستحدث (قطيعة كوبرنيقية) مع الطريقة التي تقارب بها القضية الفلسطينية. ففي الماضي كان صنّاع السياسة الامريكيون لديهم مقاربة حيال العملية التفاوضية متمحورة حول إسرائيل، لكن الآن على إدارة اوباما ان تضع السياسات الفلسطينية والراي العام الفلسطيني في قلب جهودها لعملية السلام.

هذا ان يعني إدخال اي تغيير على اهداف الولايات المتحدة وعلى العديد من سياساتها فعلاقاتها مع إسرائيل ستبقى قوية لا بل ستتعمق. لكن، وعلى الرغم من ضعفهم العسكري وتفككهم السياسي، لا يزال الفلسطينيون يمسكون بمفتاح السلام في الشرق الاوسط. ولذا إذا ما كانت الولايات المتحدة تامل في خلق بيئة اكثر امناً لإسرائيل، فعليها ان تبيع السلام إلى خصوم الدولة العبرية.

لكن، ماذا تعني المقاربة المتمحورة حول الفلسطينيين لا الإسرائيليين؟

إنها تعني، وفقاً لدوائر فريق اوباما الشرق اوسطي، امرين متلازمين: الاول، الاعتراف من جانب كل الاطراف، وفي مقدمتهم إسرائيل والامم المتحدة، بالظلم التاريخي الذي وقع على الفلسطينيين العام 1948 حين طرد نصفهم من بلادهم وحُوّلوا إلى لاجئين. والثاني، التعاطي مع كل الفلسطينيين بلا استثناء، بما في ذلك الخمسة ملايين لاجئ في لبنان سوريا والاردن وباقي مناطق الاغتراب والعمل على إيجاد حلول شاملة لهم.

وهذا يمكن ان يتم عبر مبادرة الولايات المتحدة إلى تاسيس هيئة دولية تدرس كل المطالب المتعلقة بالصراع العربي – الإسرائيلي التي سيتقدم بها ليس فقط اللاجئون الفلسطينيون بل ايضاً اليهود الشرقيون الذين هاجروا من الدول العربية.

راسمال الصندوق يجب ان يتراوح بين 55 إلى 85 بليون دولار، تكون مساهمة الولايات المتحدة فيه كبيرة، لكن المساهمة الاكبر يجب ان تاتي من إسرائيل. في الوقت نفسه، يمكن اتخاذ خطوات عدة حيال مسالة حق العودة بالنسبة إلى الفلسطينيين. فاولئك الذين يختارون عدم ممارسة هذا الحق او ان الاتفاقية النهائية بين الدولة الفلسطينية وإسرائيل تقيّد حقهم، يجب ان يتلقوا تعويضات مهمة من هذا الصندوق.

علاوة على ذلك، يجب ان يتم العمل لضمان الا يبقى اي فلسطيني من دون هوية او دولة، وان كل الفلسطينيين يجب ان يتمتعوا بحقوق اقتصادية وسياسية واجتماعية كاملة. وهذا يعني ضرورة بلورة برامج لدمج الفلسطينيين في (الدياسبورا) في المجتمعات التي يعيشون فيها الآن، والسماح لهم بالهجرة من- وفي داخل الشرق الاوسط، وتوفير فرص مناسبة لهم.

بيد ان الجهود لتوفير مستقبل للفلسطينيين يجب الا تقتصر على الدول العربية، بل يجب ان تشارك فيها الولايات المتحدة وكندا واستراليا والدول الاوروبية التي يجب ان تكون مستعدة لمنح الفلسطينيين تاشيرات هجرة. اما سوريا والاردن اللتان تقدمان إلى الفلسطينيين حقوقاً وضمانات، فيجب ان تحصلا على تعويضات كاعتراف من جانب الاسرة الدولية بجهودهما السابقة.

العقدة الإسرائيلية

كما هو واضح، المبادرة الامريكية التي قد يطرحها اوباما تبدو طموحة للغاية وواقعية للغاية. فهي تنطلق من اصغر التفاصيل المتعلقة بوضع اللاجئين الفلسطينيين في القصى المنافي، لتصل إلى توفير اعتراف 57 دولة إسلامية بالدولة العبرية إذا ما اعترفت هذه الاخيرة بالدولة الفلسطينية التي باتت ولادتها (مصلحة قومية امريكية)، كما قال اوباما.

لكن، ما موقف العرب والإسرائيليين منها؟

العرب في معظمهم سيصفقون بحماسة لهذه المبادرة، خصوصاً انها تتضمن في تضاعيفها خطة السلام الشامل التي اقرتها قمة بيروت العربية العام 2002، لكن الصورة ليست على هذا النحو بالنسبة إلى إسرائيل التي ستكون على الارجح العقدة الرئيس في منشار اوباما. فاينما يمّم المرء وجهه، سيجد الدولة العبرية بالمرصاد لاي تقدم في الاستراتيجية الدبلوماسية الامريكية الجديدة لا يصب في مصالحها الإستراتيجية هي، هذا إذا لم تعمل حتى على نسفها من اساسها.

فقد بات سراً معروفاً ان تل ابيب استنفرت الكونغرس الامريكي وباقي اللوبيات المؤيدة

اسم المصدر: الجزيرة

التاريـــخ: 03-06-2009 رقم العـدد: 0 رقم الصفحة: 25 مسلسـل: 155 رقم القصاصة: 3

لها في مجلس الامن القومي والبنتاغون، لإجبار إدارة اوباما على تحديد فترة زمنية لحوارها مع إيران يجب الا يتجاوز ستة او تسعة اشهر كحد اقصى. كما انها وضعت لائحة شروط قاسية حول طبيعة اي اتفاقات قد تبرمها واشنطن مع طهران، في مقدمها رفض قبول الاسلحة النووية الإيرانية كامر واقع.

كما لم يعد سراً ان حكومة نتنياهو ستحاول اي - وكلّ جهد تقوم به إدارة اوباما لإعادة وضع قطار حل الدولتين في فلسطين على السكة، بعد ان استبدل نتنياهو مبدأ مقايضة الارض بالسلام بما يسميه (السلام الاقتصادي). هذا لن يعني انه لن يتفاوض وفق ما تريد واشنطن، لكنه سيفعل ذلك وفق ما تشتهي سفن المستوطنين في الضفة الغربية: اي التفاوض من اجل التفاوض.

وحتى في مجال السلام السوري - الإسرائيلي، الذي يُجمع كل من الجيش الإسرائيلي وواشنطن على انه ضروري لتغيير خريطة الصراع الاستراتيجي مع إيران، تبدو العقدة الإسرائيلية اكثر وضوحاً. فنتنياهو لايستطيع حتى ولو اراد (وهو لا يريد) إعادة الجولان، لان ذلك سيفجر حكومته اليمينية المتطرفة من داخلها. كل ما يستطيع فعله هو ما سيفعله مع الفلسطينيين: التفاوض من اجل التفاوض.

ليس حباً بالسلام

كيف سيكون رد فعل إدارة اوباما على هذه المواقف الإسرائيلية الاعتراضية؟

كل المؤشرات المتدفقة من واشنطن تشي بان العلاقات بين الطرفين ستشهد توترات، وتجاذبات، واحياناً (خناقات) قد تكون علنية. لكن، هل سيكون ذلك كافياً لتمكين الولايات المتحدة من توفير النجاح لاستراتيجيتها الإقليمية الجديدة؟ حتماً لا.

فمن دون ضغوط امريكية وعلنية مباشرة على الدولة العبرية، لن يكون وارداً ان تتوقف هذه الاخيرة عن لعب دور المثبط والمعرقل لكل تقارب او انفتاح امريكي على العالمين العربي والإسلامي. ومن دون وقف اسرلة (من إسرائيل) كل المواقف الامريكية في الشرق الاوسط، لن يكون اي حديث عن تغيّر ما في السياسة الامريكية اكثر من همس خافت وسط صحراء الربع الخالي.

لكن، هل اوباما قادر حقاً على مجابهة إسرائيل او حتى الضغط عليها، تحت شعار اولوية المصالح الامريكية؟ ربما. إنما سنستطيع تحديد الجحيم الذي سنشعل إسرائيل اواره في وجهه والذي لا يبعد عن البيت الابيض سوى بضعة امتار: الكونغرس الامريكي! هذه نقطة.

ونقطة ثانية لا تقل اهمية: صحيح ان إدارة اوباما جادة في سعيها لتحقيق سلام عربي- إسرائيلي، لكنها لا تفعل ذلك حباً بالسلام بل لاهداف استراتيجية عليا تتعلق برغبتها في إغلاق ملف الصراع في المشرق العربي في سبيل التفرّغ لحروب اقصى الشرق الإسلامي، خصوصاً في افغانستان وباكستان وإيران.